

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، وأزكى الصلوات والتسليمات على نبي الرحمة ، وهادي الأمة ، ومأحي الظلمة : سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلمنا : محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

(أما بعد)

فهذه نخبة من الأحاديث النبوية الشريفة ، مما ألقيته في مسجد الشيخ خليفة ابن حمد آل ثاني في الدوحة في شهر رمضان ، أوائل ما قدّمت إلى قطر سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، في دروس العصر .

وقد شرحتُ فيها جملة من الأحاديث تدور حول فضائل رمضان والصيام ، وزكاة الفطر ، وليلة القدر ، كما تدور حول مجموعة من المعاني التربوية والأخلاقية والاجتماعية .

توخيتُ في هذا الشرح أن يخاطب العقل والقلب ، وأن يفهم العامة ، ويقنع الخاصة ، وأن يربط الناس بالواقع الذي يمارسونه ، وبالعصر الذي يعيشونه .

وكان من حسن حظي ، ومن فضل الله عليّ : أن الأخوة الفنيين في قسم الوسائل التعليمية في وزارة المعارف (التربية بعد) في قطر ، قد حرصوا على أن يسجلوا هذه الأحاديث ، عسى أن ينتفع بها بعد ذلك من يريد .

وكنتُ أحسب أن هذه التسجيلات قد استهلكت ولم يبقَ منها شيء ، ثم شاء الله أن أكتشف أن بعضها ما زال سليماً ، ويمكن الانتفاع به .

وقد وجدتُ هذه المجموعة مكتوبة بخط تلميذي النجيب ، وأخي الحبيب ، الشاعر الأديب الخطيب الأستاذ محمد حوטר الذي كان يسجل خطبي قديماً في المحلة الكبرى ، فلما جاء قطر مدرساً للغة العربية ، وذاع صيته في تدريس العربية ، أبى إلا أن يبيض لي كل ما يجده من أوراق ، وكان منها هذه الأحاديث - ولا أدري مَنْ الذي أفرغها أولاً من التسجيل على الورق - أسأل الله أن يرحمه برحمته الواسعة ، وأن يجزيه عني خيراً .

وبهذه المناسبة ، أذكر أخوة كراماً ، وزملاء أعزة ، عاونوني في تبيض ما كنتُ أكتبه قبل عصر الكمبيوتر ، ولا زلتُ أرى آثارهم عندي ، منهم مَنْ قضى نحبه ، ومنهم مَنْ ينتظر ، وما بدّلوا تبديلاً ، فأدعو الله بالمغفرة والرحمة للموتى ، وأدعو بالصحة والسعادة والتوفيق للأحياء .

من هؤلاء : الابن النجيب والأخ الحبيب ، الشاعر الأديب أحمد محمد الصديق ، شاعر فلسطين ، والقضايا الإسلامية ، والذي كان يساعدني كثيراً في تبيض ما أكتبه بخطي ، الذي قلَّ مَنْ يحسن أن يقرأه ، ولا سيما إذا كنتُ أكتب بسرعة ، وهو الغالب .

ومن هؤلاء : الأخ الشيخ محمد على الموافي ، مدرس اللغة العربية المتمكّن في المعهد الديني الذي كنتُ مديراً له ، وصاحب الخط الأنيق ، والذي عُين مفتشاً للغة العربية ، ثم أصابه حادث سيارة في قطر ، عولج منه ، ثم وافاه الأجل ، رحمه الله رحمة واسعة .

ومنهم : الأخ الأستاذ رشدي عبد الغني المصري ، مدرس اللغة العربية المتميز بالمعهد أيضاً ، والذي رقي بعد ذلك مفتشاً ، ولا يزال عندي كثير من آثاره ، حفظه الله .

ومنهم الأخ الداعية الأستاذ علي جمّاز ، مدرس العلوم الشرعية بالمعهد ، والذي تولى إدارة المعهد بعدي ، وحصل على الدكتوراه ، وعمل معي في كلية الشريعة بجامعة قطر ، وتوفي في قطر ودفن بها ، رحمه الله وتقبله في الصالحين .

ومنهم الأخ الداعية الشيخ مصباح محمد عبده ، صديق العمر ، مدرس العلوم الشرعية بالمعهد ، والذي أدركه أجله في قطر ، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .

أحببتُ أن أذكر هؤلاء تنويهاً بما قدموه لي من عون ، فلا يشكر الله من لا يشكر الناس ، وأدعو الله لهم أن يكرمهم أحياء ، ويرحمهم أمواتاً ويرحمنا معهم . آمين .

المهم أنني حين انتقلتُ إلى منزلي الجديد في (وادي السيل) بالدوحة ، وقد أصبح لي مساعدون بعد أن ظللت معظم عمري أعمل وحدي : اكتشف الأخوة في سكرتاريتي العلمية هذه الأحاديث في ملفها المظمور ، وقالوا : لماذا تطمر هذه ولا تنشر ؟ إنها يمكن أن تفيد الشباب من الوعاظ والخطباء ، والمدرسين في دروسهم ، وتمدُّهم بزادهم في حاجةٍ إليه ، ووافقتُ على أن تُعدَّ للنشر بعد أن تخرج أحاديثها ، وترقم آياتها ، ويعلّق عليها بما يقتضيه الحال ، وأن يكتب لها مقدمة مناسبة .

ولا غرو أن يلحظ القارئ لشروح هذه الأحاديث شيئاً من حماس الشباب واندفاعه ، فقد كنتُ في ذلك الوقت عند بداية إلقائها ، لم أتجاوز الخامسة والثلاثين من عمري .

كما أنه سيجد بعض الأحاديث الضعيفة التي لا أَرْضَى عنها الآن ؛ لأنني حين ذاك لم أكن ملكتُ الخبرة الحديثية الكافية لمعرفة الصحيح من الضعيف ، وكان يغلب عليّ أحياناً أسلوب الواعظ المؤثر أكثر من أسلوب العالم المحقق . فكنتُ آخذ ما اشتهر من الأحاديث دون أن أحققها ، مثل حديث سلمان في قدوم شهر رمضان واستقباله ، وهو حديث اشتهر بين الوعاظ والمُذَكِّرين ، وقد رواه ابن خزيمة في صحيحه ، ولم يجزم بصحّته ، بل قال : إن صحَّ الخبر . وهو من رواية علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف^(١) .

(١) فائدة لإخواني من طلاب العلم : كنا مع فضيلة الشيخ وهو يستعرض هذه الأحاديث ، فطلب منا كتابة عناوين الأحاديث وعرضها عليه ، وكان - حفظه الله - يقرأ الأحاديث مُعلقاً بقوله : هذا صحيح ، هذا ضعيف ويذكر لنا علة الضعف من ذاكرته كأنها حاضرة ماثلة أمامه ، فمثلاً حديث سلمان قال الشيخ لنا : فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ، وذكر لنا أن ابن خزيمة قال عن الحديث : إن صح الخبر . وكان معنا كتاب «الترغيب والترهيب» بتحقيق الشيخ عمارة ، فواجهناه مع الشيخ وإذا فيه : رواه ابن خزيمة وقال : صح الخبر ، ولم يقل : إن صح الخبر . فأنكر الشيخ ذلك وأمر بإحضار النسخة الأصلية من صحيح ابن خزيمة فوجدنا فيها : باب فضائل شهر رمضان إن صح الخبر ، ثم ذكر لنا الشيخ أن أخطاء غير قليلة تقع في متون الكتب ، وفي التعليق . أسأل الله أن يحفظ شيخنا ، وأن يبارك في عمره ، وأن يحفظ عليه ذاكرته . (أحمد المحمدي).

ومثل ذلك حديث عبادة بن الصامت : « أتاكم رمضان شهر بركة » ، الذي رواه الطبراني ، وفيه محمد بن قيس ، والذي قال فيه المنذري : لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : لم أجد من ترجمه . ومع هذا قبلته وشرحته ، بناءً على ما اشتهر بين أهل العلم من جواز رواية الضعيف في الرقائق والفضائل والترغيب والترهيب لا في الأحكام .

وإن كنت بعد ذلك ناقشت هذه القاعدة ، كما في مقدمتي لكتابي (المنتقى من الترغيب والترهيب) ، وكذلك في كتابي (كيف نتعامل مع السنة؟) ، وقد وضع أئمتنا من قبل - ممن رأى رواية الضعيف في الرقائق - شروطاً لروايتها . وأضفت إليها ما يكملها .

ووجود هذه الأحاديث الضعيفة جعلني أتوقف في نشر هذه المجموعة ؛ لأنها لا تتفق مع منهجي اليوم ، ولكن الشباب الذين يعملون معي ، كلهم عارضوني ، وقالوا : إن فيها معاني جيدة ، وأفكاراً راشدة ، وتوجيهات نافعة ، لا يجوز أن يحرم الناس منها . على أنها تمثل رؤيتك ومنهجك في وقت مبكر من حياتك ، وهى تعطي أمثالنا أملاً في أن المرء يمكن أن يتطور ويتحسن . إلى آخر ما قالوا حتى أقتنعوني ونزلت على رأيهم . والخير فيما اختاره الله . وأرجو من الإخوة القراء أن يسيروا على منهجي الجديد في اعتماد الأحاديث الصحيحة .

وقد أبقيت هذه الأحاديث على الصورة الأولى التي شرحتها ، وعلى الترتيب الذي ألقيت فيه هذه الدروس في رمضان ، لتكون عوناً للخطباء والمدرسين في شهر رمضان ، حيث يقبل الناس على سماع الدروس ، وحضور مجالس العلم بعد صلاة العصر أو بعد صلاة التراويح .

ولهذا تجد أول الدروس في شرح أحاديث تتصل بفضل الصيام وشهر رمضان ، وتجد بعد ذلك شرح حديث النية ، مع أن الأصل أن يكون في أول الكتاب ، ولكن أخرته لمراعاة الموضوعات وتسلسلها الزمني ، كما أني تكلمت عن ليلة القدر وفضائلها في الدرس العشرين للتذكير بفضلها والاستعداد لها في أوائل ليالي العشر الأخير من رمضان ، كما أعدت التذكير بفضلها والاختلاف في تعيينها في الدرس

السادس والعشرين التي توافقت ليلة السابع والعشرين . وأرجو أن تكون هذه الدروس الرمضانية التي شرحت فيها هذه الطاقة من الأحاديث النبوية زاداً نافعاً للدعاة ، وذخراً لي يوم المعاد ، وأن ينفع بها كما نفع بخطبي وسائر كتبي .

وأنا منذ قدمت إلى قطر في سنة ١٣٨١هـ ، ١٩٦١م أداوم على هذه الدروس الرمضانية كانت أولاً بعد العصر في مسجد الشيخ خليفة ، وفي أثناء صلاة التراويح في مساجد شتى ، ثم انقطعت منذ بضع عشرة سنة عن درس العصر ، وبقي درس التراويح في التفسير ، ولعل بعض الأخوة يوفقه الله لجمع ما بقي أو ما سجل من هذه الدروس فهي أكثر من ألف درس . ولا تخلو إن شاء الله من فائدة .

وأنوه هنا بما قام به مكتبي بالدوحة ، الذي يقوم عليه الأخ الشيخ : وليد أبو النجا ، ويعاونه عدد من الأخوة منهم : الأخ الشيخ أحمد المحمدي ، الذي يعمل إماماً وخطيباً في مساجد قطر ، والذي قام بطباعة هذا الملف ، وتخراج أحاديثه ، وإعداده للنشر ، وراجع معي أكثره ، جزاه الله وإخوانه خيراً .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الدروس كل من قرأها ، أو أرشد إلى قراءتها ، وأن يأجر كل من ساهم في نشرها ، وتعميم النفع بها . وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى الله تعالى
يوسف القرضاوي

الدوحة في : جمادى الأولى ١٤٣١ هـ
إبريل ٢٠١٠ م

OBELIKAN.COM

مقدمة الدروس الرمضانية

أحمد الله إليكم الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة، سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله على آله وأصحابه، الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضوان الله على من دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (الكهف: ١٠).
﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: ٨).

اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، وبعد:

فأحييكم أيها الأخوة بتحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأهنئكم بهذا الشهر المبارك: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وأسأل الله تعالى أن يجعل حظنا من هذا الشهر، الرحمة، والمغفرة، والعق من النار.

ونعيش معاً أيها الأخوة ... في هذا الشهر، نعيش في رحاب سنة رسول الله ﷺ، في رحاب السنة المحمدية، السنة التي أوتي صاحبها جوامع الكلم، وجواهر الحكم، واختصر له الكلام اختصاراً، وأدبه ربه فأحسن تأديبه.

نعيش معاً في ظلال أحاديث النبي ﷺ، نقبّس منها الهدى، ونأخذ منها النور، الذي يضيء طريقنا إلى الله، ويأخذ بأيدينا إلى ساحة الرضوان. والحمد لله رب العالمين.

OBELIKAN.COM